



المحرر

مما تعلّمت

غاية اللغة الوضوح

الجرجاني كان حريصاً على دراسة دور «المتكلم» في بناء الجملة، لا دور «المتلقي» في فهمها

بقلم رشاد عبد القادر · ٥ أيلول ٢٠٢٢ · قراءة في ٢ دقيقة

الصورة من تصوير النكاه الاصطناعي

الجانب المعنوي من علم النحو

متعة القراءة ليست في الوصول إلى ما تقوله الجملة لفظاً، إنما في استكشاف ديناميكيات التفاعل بين مكوناتها؛ فتنفصل أحياناً وتترابط أو ترتبط أحياناً أخرى في طريقها لتوليد «المعنى».

قبل ألف عام، كان «الجرجاني» على وشك أن يوجه اللغة العربية وجهة مختلفة تماماً لولا أن دارسيه ظنوا خطأ أنه يتحدث عن علم جديد في البلاغة لا اللغة، فسّموه «علم المعاني»؛ ثم فصلوه عن آليات بناء الجملة.

منذ ذلك الحين، نعيش في تيه لغوي. لعل المحاولة الأكثر جدية صدرت من اللغوي القدير د. تمام حسان وبعض تلامذته لإعادة الشأن لما اكتشفه الجرجاني وللغة العربية، لكن «الخطأ» كان قد ترسخ حتى بات صعباً زحزحته.

باختصار، بعد أن انتشر اللحن بين المسلمين المستجدين من غير العرب، دأب النحاة في درسه على إعانة المتلقي على صحة تلاوة القرآن لا على تدبر معانيه، وتركوا هذه المهمة للمتكلمين والمتأدبين والبلاغيين؛ أي أنهم انطلقوا من وجهة نظر «المتلقي» وليس «المتكلم»، فظلت قضايا اللفظ والمعنى خارج نطاق النحو. فالغاية الأولى من النحو -بحسبهم- المبني وليس المعنى. بذلك أغفلوا جوانب معنوية مهمة في بناء الجملة، كالتقديم والتأخير، والفصل والوصل، والإيجاز والإطناب والمساواة إلخ، وأدخلوها في إطار علم جديد، هو «علم المعاني».

والحق، لم يكن العلم المستجد إلا الجانب المعنوي من علم النحو. هذا ما أراد فعله الجرجاني، فقد كان حريصاً على دراسة دور «المتكلم» في بناء الجملة، لا دور «المتلقي» في فهمها. وقد جعل نقطة الانطلاق في دراسته لبناء الجملة هي المعنى وليس المبني.

انظر إلى الديناميكيات التي تنشأ من خلالها علاقة الارتباط بين «خاتم» و«فُصّة» في الجمل التالية:

1. خَاتَمُ فُصَّةٍ: علاقة إضافية.

2. خَاتَمٌ فُصَّةٌ: علاقة تمييز.

3. خَاتَمٌ فُصَّةٌ: علاقة وصفية.

4. خَاتَمٌ من فُصَّةٍ: اصطناع علاقة رُبط بأداة «من».

ستلاحظ أن الارتباط في «1، 2، 3» عضوي؛ أي أن الجملة لا تحتاج إلى أداة إضافية لخلق الربط، وهذا هو الأصل في اللغة العربية. بينما «4» احتاجت إلى حرف «من» لخلق الربط لهذا فهو اصطناعي.

عندما تكتب، استكشف الديناميكيات الداخلية لمكونات الجملة بتجنب أدوات الربط لأنها عوالق في الجملة، ولا تستخدمها إلا لأمن اللبس في فهم المعنى، لأن غاية اللغة الوضوح.

عن هذه النسخة

هذه نسخة PDF من مقالة نُشرت في موقع «المحرر». النص والصور كما هي في المقالة الأصلية.

«غاية اللغة الوضوح» — مِمَّا تَعَلَّمَتْ • بقلم رشاد عبد القادر • ٥ أيلول ٢٠٢٢
almuharir.net • تاريخ السحب ٣ تشرين الأول ٢٠٢٦